المحاضرة الثالثة: فجر التاريخ والاختراعات السابقة للكتابة:

فجر التاريخ: يطلق مصطلح فجر التاريخ على المرحلة الرابطة (الإنتقالية) بين مرحلة ما قبل التاريخ (préhistoire) والمرحلة التاريخية المحددة باختراع الكتابة، حيث شهدت هذه المرحلة نقلة نوعية في حياة الإنسان من خلال مجموعة من الاكتشافات التي اخترعها الإنسان لتحسين ظروف حياته، إلا أن ما يلاحظ على هذه الفترة التاريخية هو اختلافها من حضارة لأخرى في المدة والتوقيت، فنجد حضارة ما قد سبقت باقي الحضارات وكانت هذه الحقبة فيها قصيرة على العكس من حضارات أخرى ...، ومرد هذا طبيعة العامل البشري واختلافه من حضارة لأخرى.

أهم الاختراعات الإنسانية السابقة للكتابة (المرحلة الحضارية):

1- **الزراعة:** ظهرت الزراعة منذ العصر الحجري الحديث، وتختلف فترة ظهورها باختلاف المكان والجغرافيا من حضارة لأخرى بسبب ارتباطها بالعمل البشري ومختلف العوامل المتحكمة في هذا النشاط، حيث كان ظهور الزراعة نتيجة لاستقرار الإنسان على ضفاف الأنهار والآبار والينابيع فقد لاحظ الإنسان أن الازدياد في منسوب مياه الأنهار والآبار والعيون الذي جلب معه الطمي ما أدى إلى ظهور بعض النباتات البرية وبعد فترة تموت، ثم تعود للحياة مرة أخرى ...، ومن هنا تحول الأنسان إلى منتج بعد أن كان يعيش عالة على الطبيعة معتمدا على اللقط والقطف.

وهناك من العلماء نسب ذلك إلى التفوق الجنسي الذي أثبتت دراسات الأنثروبولوجيا صحته لذلك يمكن القول أن إنسان الشرق الأدنى القديم توصل للزراعة بعد أن تمكن من صناعة بعض الأدوات بالإضافة إلى إنتظام البيئة مثل: مصر.

2- **المهن والحرف:** لأجل ممارسة الزراعة اكتشف الإنسان وطور بعض الحرف والمهن، وشكل أدوات حجرية وعظمية ومعدنية مثل المنجل وصناعة الفخاخ للصيد، حيث تطور الفأس الحجري إلى محراث يجره الإنسان ثم الحيوان وتطورت السكة من العظم إلى المعدن (بعد أن اكتشف الإنسان النار منذ العصور الحجرية حوالي 400 ألف سنة، تمكن من تطوير استعمالها لصهر المعادن) وتطورت طريقة البذر وتسميد الأرض بالفضلات الحيوانية، كما تطورت القادوم والمنجل وكان أول اكتشاف لهما بمنطقة أريحا، كذلك استعملت المدراة حوالي 6000 إلى 5000 سنة قبل الميلاد وكانت على شكل لوحة خشبية بها ثلاث أو أربع أسنان ودراع طويلة.

وفي السقي استعملت الرافعة ذات دلو. ثم ظهرت إلى جانب الرافعة الساقية (النافورة) وهي على شكل دولاب كبير يحمل على محوره جرار صغير يدور بواسطة اتراس مركزية وعندما يدور يفرغ الماء في الخارج.

3- **النسيج:** بعد حقق الانسان طعامه، سعى لتطوير لباسه من الأوراق والجلود إلى صناعة الملابس، وبهذا ظهرت الألبسة بعد اكتشاف "النول" (السداية) منذ 5000 سنة قبل الميلاد، ويعتبر من إنجازات الحضارة المصرية حيث ظهرت في العصر الحجري الحديث ويعتبر قماش الخيش أقدم أنواع القماش ثم تطورت وعرفت أرقى أنواع القماش " الموهير" وغلب عليه اللون الأحمر الآجوري وطورته الحضارة الفينيقية وجعلت منه لباس أهل البلاط.

4- **استئناس الحيوان:** كان الإنسان في العصور القديمة جامعًا للغذاء، ومعتمدًا على الصيد أي أنه كان عالة على البيئة، لكنه لما استأنس الحيوان أصبح منتجًا، وأول ما أستأنس هو الكلب منذ 11 ألف سنة قبل الميلاد، ثم الماعز والبقر والحصان وآخر ما استأنس هو الجمل البري.

5- **بناء المساكن:** دلت البقايا الأثرية على أن ظهور المساكن كان في وقت مبكر في الشرق الأدنى القديم منذ منتصف الألف العاشرة قبل الميلاد (كوبيلي تبه جنوب تركيا الحالية)، وأول ما ظهر من المساكن هو الكوخ ثم طور وقوي باستخدام الطين الممزوج بالتبن، وكان على عدة أشكال منها المخروط والمثلث والمربع، كانت البداية باستخدام الأغصان والطين ثم الطوب ثم المشوي ثم الحجارة في العمارة الضخمة بينما سكن سكان إفريقيا الكهوف والمغارات، فالإنسان في هذه المرحلة من تاريخه أصبح بحاجة للاستقرار قرب حقله وبالتالي يتجنب رحلاته الطويلة نحو الجبال والكهوف.

6- الفنون والديانات والأدب:

أ- **الرسم والنحت والموسيقى:** ظهر الرسم البدائي في فترات بعيدة حوالي نهاية العصر الحجري القديم الأوسط. ثم انتشر بسرعة في العصر الحجري الحديث وظهر على الفخار أو على العظام وقشور البيض (بيض النعام) وكانت عبارة عن رسومات على شكل حيوانات أو خطوط منكسرة ومموجة ونقاط، وهناك الرسوم الأكثر تطورًا التي كان صاحبها يحاكي الطبيعة بألوانها الزاهية فأستخلص الألوان الأحمر والأزرق والأسود (حيث أضاف لها الإنسان القديم شحوم الحيوانات حتى لا تزول) وأهمها رسوم الطاسيلي (العصر الحجري الحديث) وواكب الرسم ظهور النحت وكان أول ما جسد نحت دمية طينية تجسد المرأة واستعملت للعبادة (عشتارت، ايزيس)

ب- **الموسيقى:** أول آلة ظهرت هي الناي وكان ظهوره عشوائيا حيث افترض الباحثين أن أول من فكر في الناي هو راعي الغنم حيث كان ينفخ في عصاه (الخيزران) فأنتج له صوت وبهذا ظهر ما يعرف الآن بالناي.

ج- **الأدب الأسطوري:** حاول الإنسان أن يفهم مغزى حياته على الأرض وحاول أن يجد علاقة بينه وبين الظواهر الطبيعية التي تحيط به، ولهذا فكر في وضع أساطير تعتمد أساسا على فكرة الخلق والمخلوقات وعلاقتها بالعناصر الطبيعية، حيث عمد إلى خلق أساطير حول خلق الكون والمخلوقات والمحيطات والبحار

والكواكب والشمس.... ومع استقرار الإنسان ونمو تفكيره أعتقد بالحياة الأخرى...، وهي الأساطير التي حفظها الانسان في المرحلة التاريخية وفي مختلف الحضارات.

7- **النظم السياسية:** يعد التنظيم الاجتماعي الذي بدأ بالأسرة الآموسية ثم الأسرة الآبوسية، ثم العائلة ثم العشيرة فالقبيلة ثم إلى مجموعة من القبائل والتي عرفت تاريخيا بالكونفدراليات حتى وصلت إلى دولة خلال هذا المسار التطوري كان الإنسان يسيره شخص تتوفر فيه عدة شروط منها: كبر السن، العرق، القوة، وبتطور المجتمع تطورت هذه المعايير فتحول إلى النظام إلى الملكي ثم إلى الديمقراطي في دولة المدنية في المرحلة التاريخية.

8- **آلات النقل:** بدأ الإنسان يحمل أثقاله بنفسه ثم استخدم الحيوانات وبعدها الجرارات لأول مرة في التاريخ وهي عبارة عن غصون طويلة مرصوصة مع بعضها ويضع عليها عتاده وتحتها جدوع أشجار كعجلات، كما صنع أيضا الزورق بحفر الجذوع وتفريغ أجوافها فالإنسان البدائي لابد أنه لاحظ طفو جدوع الأشجار على المياه، وبهذا اصبحت المجاري المائية من طرق النقل، ثم أستعمل المجداف والشراع في الإبحار.

9- **التجارة:** جاءت جراء كثرة الإنتاج فقدم كل شخص الفائض لجاره وتبادلا، وتطورت هذه الفكرة وأصبحت بين القبائل وكل قبيلة تختص بإنتاج معين زراعي او صناعي وهذا ما أدى لبروز مراكز التجارة والأسواق وكانت صيغة المقايضة هي تبادل تجاري حيث يضع كل بائع ثمنا لبضاعته (البلح، الجلود، الفراء، الحلي، الأسلحة، السمك، اللؤلؤ ..... الأغنام، الأبقار، الخنازير والعبيد) وكانت الماشية معيارا مناسبا لقياس القيمة أثناء التبادل التجاري وبعد استغلال المعادن أصبحت هذه الأخيرة معيارًا لكل السلع (النحاس، البرونز، الفضة، الحديد والذهب) ويعتقد أن هذه الصيغة ظهرت متأخرة تاريخيا حوالي القرن 7 ق.م في بلاد اليونان

للاستزادة أنظر ما يلي:

1- **ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد الأول، تر. فؤاد أندروس، علي أدهم، دار الجيل، بيروت، د.ت.**
2- **عبد اللطيف أحمد علي: محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، طبع كريديه أخوان، بيروت، 1971.**
3- **محمد صادق صبور: موجز تطور الحضارات الإنسانية، ط. 1، دار الأمين، القاهرة، 1998.**
4- **محمد سحنوني: ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.**
5- **أحمد أمين سليم: العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ت.**
6- **محمد أبو المحاسن عصفور: الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، مطبعة المصرية، مصر، 1962.**